

طرابلس الغرب من انهيار الحكم الحفصي إلى الفتح العثماني: (قراءة تحليلية في التطورات السياسية من منتصف القرن 15م إلى منتصف القرن 16م)

West from the collapse of Hafsids rule to the Ottoman conquest, a new Tripoli of induction into political developments from the mid-15<sup>th</sup> century to the mid-16<sup>th</sup> century

سالم جوامع\*

جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)، salemdjouama1492@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/07 تاريخ القبول: 2020/09/17 تاريخ النشر: 2021/01/15

ملخص:

شهدت منطقة غرب البحر المتوسط مطلع العصر الحديث تحولات هامة على الساحتين السياسية والحضارية، حيث عرفت هذه الفترة ضعف وسقوط الدول الحاكمة في البلاد المغاربية (الحفصية، الزيانية، المرينية) مما مهد لأن تتوسع بالمنطقة قوى جديدة في حوض البحر المتوسط ممثلة بالإمبراطورية الإسبانية والدولة العثمانية والتي ستوسع كلاً منهما في البلاد المغاربية وغرب البحر المتوسط وذلك مع مطلع القرن 16م.

و منه فإن هذه الدراسة تتناول قراءة جديدة في التطورات السياسية لطرابلس الغرب منذ بداية انهيار الحكم الحفصي بالمدينة بعيد منتصف القرن 15م وإلى غاية الفتح العثماني سنة 1551م، حيث تهتم هذه الورقة البحثية بدراسة تفكك الحكم الحفصي في طرابلس الغرب وقيام النزعات الإستقلالية المناوئة للوجود الحفصي بالمدينة والذي انتهى بالإحتلال الإسباني سنة 1510م، مشيرين في خضم ذلك إلى أهداف التمرکز الإسباني بطرابلس الغرب، كما نقوم بالبحث في استلام منظمة فرسان مالطا حكم المدينة من قبل الإسبان واستخدامها كمركز إستراتيجي وحيوي للسيطرة على البحر المتوسط في خضم الصراع الإسلامي المسيحي بالمنطقة مطلع العصر الحديث، وأخيراً يتناول البحث بداية الوجود العثماني بطرابلس الغرب أو بالأحرى فاتحة العلاقات بين الدولة العثمانية وساكنة المدينة، والتطرق لمحاولات العثمانيين المتكررة لإخضاعها وضمها للحكم العثماني والذي سيتحقق بشكل نهائي على يد الأسطول العثماني لتقوم بذلك إيالة طرابلس الغرب العثمانية سنة 1551م.

الكلمات المفتاحية: طرابلس الغرب، التطورات السياسية، الحكم الحفصي، الفتح العثماني.

**Abstract**

The western Mediterranean region witnessed important changes in the political and civilizational arenas, as this period witnessed weakness and fall The ruling countries of the Maghreb (Hafsids, Ziyani, Merinid), which paved the way for the expansion of the region by new powers in the Mediterranean basin represented by the Spanish Empire and the Ottoman Empire, which will both expand in the Maghreb countries and the western Mediterranean, at the beginning of the 16th century AD. And from this, this study deals with a new reading in the political developments of Tripoli of West since the beginning of the collapse of the Hafsids rule in the city in the mid-15th century AD and until the Ottoman conquest in 1551 AD, where this paper is concerned with studying the fragmentation of Hafsids rule in Tripoli of West and the establishment of independent tendencies against the Hafsids presence. In the city, which ended with the Spanish occupation in 1510 AD, indicating in the midst of this the goals of the Spanish concentration in Tripoli of West, as we are researching the receipt of the rule of Malta by the Spanish rule by the Spaniards and used as a strategic and vital center to control the Mediterranean in the midst of the Christian-Islamic conflict in the region at the beginning of the modern era Finally, the research deals with the beginning of the Ottoman presence in Tripoli of West, or rather the opening of relations between the Ottoman Empire and the inhabitants of the city, and the repeated Ottoman attempts to subjugate and annex them to Ottoman rule, which will be achieved permanently by the Ottoman fleet, to do this by the Ottoman regency of Tripoli of West in 1551AD.

**Keywords :** The West Tipoli, political developments, Hafsids rule, Spanish occupation, Ottoman conquest, 15th century AD, the 16th century AD

منذ منتصف القرن 15م بدأت بوادر الضعف تظهر على الدولة الحفصية التي لم تعد قادرة على بسط سلطتها على الأقاليم الخضاعة لها خاصة تلك البعيدة عن العاصمة تونس، وكان هذا الوضع السياسي الذي تعيشه السلطة الحفصية قد مهد لظهور النزعات الانفصالية في الأقاليم والتي عملت على إقامة حكم محلي دون السماح بتدخل السلطة الحفصية، ولم تحد طرابلس الغرب عن هذه القاعدة، فمنذ منتصف القرن 15م أصبح الحكم الحفصي في آخر فتراته في الوقت الذي بدأت فيه المدينة والمناطق المجاورة لها تعلن رفضها الحكم الحفصي ساعية للانفصال عن العاصمة تونس.

ومنه فإن هذه الدراسة تعالج الإشكالية التالية: كيف بدأت بوادر ضعف السلطة الحفصية تظهر في طرابلس الغرب وماهي نتائج انهيار الحكم الحفصي في هذا الإقليم؟، كيف أثر ذلك في تهيئة الظروف لاحتلال المدينة من قبل الإسبان ثم لبداية الوجود العثماني الذي انتهى بتأسيس إيالة طرابلس سنة 1551م؟

وتهدف هذه الدراسة للبحث في التغيير السياسي الجذري الذي شهدته طرابلس الغرب والذي كان عبر مراحل متتابعة ما بين نهاية القرن 15م ومنتصف القرن 16م، كما تتضمن قراءات تحليلية للظروف السياسية المحلية والإقليمية التي مهدت لانتقال طرابلس الغرب بعد انهيار الحكم الحفصي من الإسبان إلى العثمانيين.

وقد اتبعنا للإجابة عن إشكالية الموضوع المنهج التحليلي في دراسة تتبع التطور السياسي لطرابلس الغرب خلال الفترة المدروسة، إضافة إلى اعتماد منهج المقارنة في قراءة الروايات التاريخية و الدراسات المعاصرة لتاريخ المدينة خلال هذه الفترة، كما فرضت علينا طبيعة الموضوع توظيف المنهج السردى وذلك أثناء تتبع الأحداث والتطورات السياسية واستخراج النصوص التاريخية من المصادر الأولية بغية الخروج بقراءة جديدة تخدم الموضوع.

### 1- طرابلس أواخر العهد الحفصي 1460-1510م:

منذ منتصف القرن 15م بدأت بوادر الضعف تظهر على الدولة الحفصية في المغرب الأدنى على غرار ما حدث للأظمة السياسية في المغرب الأوسط والأقصى، حيث عرفت هذه المرحلة ضعف السلطة المركزية وانفصال الأقاليم وما رافقه من التمردات الداخلية.

كانت فترة السلطان أبو عمر عثمان (839هـ/1435-893هـ/1488م) آخر فترات القوة بالنسبة للسلطة الحفصية ومع ذلك لم تخل هذه الفترة من مظاهر الانحلال والضعف السياسي، فمنذ توليه الحكم مع منتصف القرن 15م كان على هذا السلطان أن يواجه هذه العقبات التي باتت تهدد الدولة الحفصية وأهمها: الصراع على الحكم في الأسرة الحاكمة وظهور حركات الانفصال في المدن والأقاليم، إضافة إلى الإنتفاضات والثورات المتكررة للقبائل<sup>1</sup>.

كانت طرابلس وأقاليمها تابعة لحكم الحفصيين يحكمها السلطان بواسطة وال يعينه تنحسر مهامه في جمع الجباية وتجنيد الرجال، غير أنها كما رأينا بدأت تعرف خلال منتصف القرن 15م العديد من الثورات والإنتفاضات ضد الحكم الحفصي.

في هذه الفترة شهد الواقع السياسي في المدينة تعاظم فيه نفوذ الشيوخ والقضاة ورجال الدين على المدن والقرى والقبائل فعملوا على قطع صلاتهم ببلادهم وامتنعوا عن الاعتراف بملك يؤدون إليه الخراج<sup>2</sup>، وقد وصل الحكم الحفصي في المدينة من الضعف إلى درجة مكنت شيةخ الزوايا من حكم المدينة والسيطرة على المنطقة حتى عرفت

هذه الفترة بـ "حكم المشايخ"<sup>3</sup>، وهنا يذكر المؤرخ إيتوري روسي أنه منذ النصف الثاني من القرن 15م شكلت طرابلس حكما قريب الشبه بالجمهورية وكان لطرابلس مجلس شورى يرأسه شيخ<sup>4</sup>.  
ففي هذه الفترة من القرن 15م كانت طرابلس لا تكاد تنتهي من ثورة حتى تندلع فيها أخرى ضد السلطة الحفصية ويقوم أهلها بالتمرد ضد الوالي الحفصي في المدينة مما يجبر السلطان الحفصي على الخروج إلى المدينة من أجل تعيين ولاية جدد ولبسط نفوذه على المدينة، ويورد الزركشي نصا في هذا الصدد يقول فيه: "... في سنة 861هـ/1456م بعث السلطان بجيش لعزل القائد ظافر وتعيين القائد رضوان بعد انتفاضة أهل طرابلس.. وفي آخر سنة 862هـ/1457م خرج السلطان محلته إلى تاورغة وقفل راجعا وعقد في رجوعه على طرابلس للقائد أبو النصر بن جا الخير وصرفه إليها.."<sup>5</sup>.

في سنة 864هـ/1460م عرفت المدينة إحدى أخطر الثورات المحلية ضد السلطة الحفصية إذ قام أهالي المدينة بالتمرد على الوالي الحفصي وطردوه من المدينة التي أعلن أهلها انفصالهم عن الحكومة المركزية وقاموا بمبايعة رجل يسمى الشيخ سيدي منصور واليا عليهم نظرا لنفوذه الكبير في المدينة في الوقت الذي أرسلت البيعة قبائل غريان وبني وليد وترهونة ومسلاتة ومصراتة وتاجوراء وزوارة، وقد حاول السلطان الحفصي أبو عمر عثمان أن يرد الإعتبار للسلطة الحفصية في طرابلس فجهز حملة عسكرية بتعداد خمسة آلاف جندي وثلاثة آلاف فارس غير أن أهالي طرابلس وحكومة مشايخها بقيادة سيدي منصور تمكنوا من هزيمة الجيش الحفصي<sup>6</sup>.

غير أن الفتن ظهرت داخل حكومة المشايخ هذه نفسها والتي انتهت باغتيال الشيخ سيدي منصور ومبايعة الشيخ سيدي يوسف خليفة له، غير أن السلطان الحفصي حاول مرة أخرى إعادة طرابلس إلى سلطاته فعين ابنه أبا بكر واليا عليها، إلا أن الإنقسامات داخل البيت الحفصي حالت دون استقرار السلطة الحفصية في طرابلس حيث بعد وفاة السلطان عثمان سنة 893هـ/1488م قام خليفته أبو زكرياء يحيى بإغتيال ابن عمه الأمير أبو بكر والي طرابلس<sup>7</sup> مما ساعد على ظهور الفتن من جديد وانفلات المدينة من الهيمنة الحفصية حيث قامت بها انتفاضة جديدة بزعامة ابن طليس الذي تولى حكم المدينة بعد هذه الأزمة وامتد نفوذه حتى الصحراء جنوبا<sup>8</sup>.

مع نهاية القرن 15م<sup>9</sup> وبالتحديد سنة 897هـ/1492م تأسست في طرابلس نظام حكم مشيخي جديد بزعامة الشيخ عبد الله الذي ولي بإجماع أهل طرابلس وقد كانت له علاقات بتونس إلا أنها اقتصر على الجانب التجاري فقط دون السياسي<sup>10</sup>، حيث أن النفوذ الحفصي على المدينة لم يعد أواخر القرن 15م إلا أسمى فقط<sup>11</sup>.

ويصف الحسن الوزان المشهد السياسي في طرابلس مطلع القرن 16م بقوله: "... إن أهالي طرابلس كانوا يطردون الحاكم الحفصي وجميع موظفيه في كل مرة ويقومون بتعيين والياً عليهم من بينهم.."<sup>12</sup>.

أدت الثورات الداخلية وكثرة الإنتفاضات إلى التأثير سلبا على طرابلس وإقليمها حيث لم يهتم حكامها المحليون -الذين كانوا في صراع مزدوج مع السلطة الحفصية من جهة ومن منافسيهم المحليين من جهة أخرى- بتحسين أسوارها أمام التهديد الخارجي ولا بإخضاع القبائل غير ثابتة الولاء مما تسبب في إنتشار اللصوصية والنهب وتردي الوضع الأمني، كما أن تمرد القبائل يعني بالضرورة رفضها دفع الضرائب والمغارم وهذا ما أدى إلى إفلاس خزينة طرابلس وانحيار وضعها الإقتصادي<sup>13</sup>.

وفي ظل هذه الأوضاع مع مطلع القرن 16م فقدت طرابلس مكانتها المرموقة كمركز إستراتيجي في البحر المتوسط وكذا في الصحراء الكبرى مما ولد انهيارا سياسيا واقتصاديا في المدينة التي سوف تتعرض مطلع هذا القرن إلى الغزو الصليبي وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

## 2- الاحتلال الإسباني لطرابلس 1510م:

بعد احتلال المدن الساحلية الإستراتيجية في المغرب الأوسط حاولت إسبانيا مد نفوذها شرقا وبالتحديد إلى الأقاليم الشرقية للدولة الحفصية من أجل الإستيلاء على المراكز المهمة في المنطقة ولعل أهمها مدينة طرابلس التي كانت مستهدفة تحديدا من قبل السلطات الإسبانية.

ربما يكون من الأفضل أن نبدأ الحديث عن الإحتلال الإسباني لطرابلس بالتساؤل الذي طرحه المؤرخ جان كلود زليتنر، لماذا طرابلس هذا الميناء البعيد؟ يجب هذا الأخير أن هناك سببان رئيسيان وراء ذلك، الأول ذو طبيعة إستراتيجية فإسبانيا كانت تتبعها كل من نابولي وصقلية ومالطا التي تقابل طرابلس في الضفة الشمالية للمتوسط وبالتالي فالإستيلاء عليها يعني تقسيم البحر المتوسط إلى قسمين ومنع الأتراك من الإستيلاء على الجزء الغربي منه، أما السبب الثاني فيعزوه زليتنر إلى الثراء الهائل الذي تزخر به المدينة والذي يقول عنه أنه أذهل الرحالة المعاصرين<sup>14</sup>، فهذا حسن الوزان يقول عن المدينة التي زارها في مطلع القرن 16م: "إن السكان (في طرابلس) يتعاطون التجارة بكثرة، لأن المدينة قريبة من نوميديا ومن تونس دون أن توجد مدينة غيرها حتى الإسكندرية، وهي كذلك قريبة من مالطا ومن صقلية، وكانت سفن البنادقة ترسو بها قديما، وتقوم بتجارة كبيرة مع تجار طرابلس ومع الذين يفدون إليها كل سنة من أجل هذه السفن.."<sup>15</sup>، كما يذكر ابن غلبون في كتابه "تاريخ طرابلس الغرب" أن تجار صقلية ومالطا لما رأوا من غنى المدينة وضعف سكانها عسكريا وصفوا ذلك لملوك صقلية من أجل حملهم على احتلالها إذ أنهم أخبروه كما في نص بن غلبون "ما رأينا أكثر من أهلها مالا وأقل سلاحا وأعجز أهلا عن دفاع العدو.."<sup>16</sup>.

بعد أمر ملكي من فرناندو الكاثوليكي جهز الكونت بيدرو نافارو Pedro Navarro القائد العام للقوات الإسبانية في شمال أفريقيا الحملة العسكرية على طرابلس والتي غادرت ميناء بجاية على رأس ثمانية آلاف رجل اتجهت صوب جزيرة صقلية حيث انضمت إليه سفن الجزيرة وكذا السفن القادمة من نابولي والتي ستشارك في الحملة على طرابلس تحت تنسيق نائب ملك صقلية<sup>17</sup>.

غادر الأسطول الإسباني ميناء فاينيانا في صقلية في 15 جويلية 1510م وتوقف في مالطا أين انضمت إليه مجموعة من البحارة المالطيين باعتبارهم مرشدين وذلك لمعرفة بطرابلس وخبرتهم بكافة سواحل الشمال الإفريقي، وحين غادرت الحملة من مالطا يوم 20 جويلية كانت تتكون من مائة وعشرين قطعة بحرية تحمل خمسة عشر ألف جندي إسباني وثلاثة آلاف من الإيطاليين وعدد من البحارة المغامرين<sup>18</sup>.

وصل الأسطول الإسباني إلى مدينة طرابلس صبيحة يوم 25 جويلية ونزل القوات الإسبانية إلى البر في غضون ساعات قليلة حيث قسمت إلى قسمين، قام نصف بمهاجمة المدينة بينما تولى النصف الآخر التكفل بحماية القوات المهاجمة من ضربات القبائل القاطنة بريف المدينة، وسرعان ما استولت القوات الإسبانية بمساعدة المدفعية على سور المدينة وأبراجها مما مكّنهم من الدخول إلى المدينة حيث وجدوا أمامهم مقاومة عنيفة من قبل الأهالي، وقد خلف

الهجوم الإسباني الذي نجح في احتلال المدينة ستة آلاف قتيل من المسلمين وأسر حوالي عشرة آلاف، كما تم إطلاق حوالي مائة وسبعين أسير مسيحي، فيما لم تتجاوز الخسائر الإسبانية سوى ثلاثمائة قتيل<sup>19</sup>، ويقول ابن غلبون عن هذه الحملة: "...ووجهز لها (ملك إسبانيا) أسطولا فأخذها في ليلة واحدة من غير مشقة واستولى عليها ولم ينج من أهلها إلا من تسور ليلا، وانحاز المسلمون إلى جبال غريان وتاجوراء ومسالاتة، وصارت المدينة للنصارى"<sup>20</sup>.

### 3- طرابلس تحت حكم فرسان مالطا 1530-1551م:

استمر حكم الإسبان لمدينة طرابلس منذ احتلالها سنة 1510م إلى غاية سنة 1530م حيث تنازلت الحكومة الإسبانية على المدينة لفرسان القديس يوحنا (فرسان مالطا) والذين استمروا محتلين للمدينة إلى غاية الفتح العثماني سنة 1551م.

كانت جزيرة رودس مقرا لمنظمة فرسان القديس يوحنا<sup>21</sup> إلى غاية سنة 1522م أين فتحت القوات العثمانية الجزيرة وطردت منها هذه المنظمة<sup>22</sup> التي طلبت من ملك إسبانيا شارل الخامس عن طريق مرشدها الأكبر في أكتوبر 1523م جزيرة مالطا في البحر المتوسط لمزاولة نشاطها الحربي الصليبي ضد العالم الإسلامي<sup>23</sup>.

وافق الملك شارلوكان على طلبهم<sup>24</sup> هذا وقام بمنحهم جزيرة مالطا في البحر المتوسط كي يتخذوها مركزا جديدا لهم، كما اشترط الملك أن تتولى المنظمة مهمة الدفاع عن مدينة طرابلس وكان ذلك من خلال المرسوم الذي وقعه شارلوكان سنة 1530م والذي تنازل بموجبه عن جزيرة مالطا لفرسان القديس يوحنا وولاهم كذلك حكم المستعمرة الإسبانية طرابلس، وقد جاء في هذا المرسوم مايلي: "قد وهبنا القصر والأماكن وجزائرتنا في طرابلس ومالطا وقوزو إلى منظمة فرسان القديس يوحنا، لحياء هذه المنظمة واستقرارها وهي هبة خالصة عن رضا منا..."<sup>25</sup>، وقد عبرت المنظمة عن امتنانها الشديد للملك شارلوكان عن هذا التنازل وقد عبر قائدها عن ذلك في رسالة إلى الملك الإسباني جاء فيها: "و بما أن جلالتكم القيصرية عندما طلب منكم التنازل عن هاتين الجزيرتين طلبتم أن نقبل معها مدينة طرابلس بكل ما يتبعها فإننا قبلنا هذا رغم ضعف قوى المنظمة<sup>26</sup> رغبة منا في خدمة جلالتكم القيصرية، وفي الوقن نفسه نأمل أن تكونوا لنا سندنا وعونا حيثما لا تكفي قوانا في خدمة الله للإحتفاظ بتلك الأماكن وحماية المنظمة نفسها..."<sup>27</sup>

ومن هنا استقر فرسان مالطا في جزيرة مالطا وتولوا حكم مدينة طرابلس نيابة عن الإسبان واستقروا بها رسميا في 25 جويلية 1530م بقيادة القس غاسبار دي سانغوزا Gaspere di Sanguessa<sup>28</sup>.

### 4- الفتح العثماني لطرابلس الغرب:

#### أ-المحاولات الأولى لتحرير طرابلس الغرب:

كانت فاتحة العلاقة بين أهالي طرابلس والدولة العثمانية تلك السفارة التي بعث بها أهالي تاجوراء<sup>29</sup> إلى القسطنطينية طالبين العون من السلطان العثماني، إذ يذكر الأنصاري في كتابه المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب أن "...ولما تفاقم الخطر على أهالي طرابلس واستفحل أمر منازل بهم من فتنة الإسبنيول... إنتدبت جماعة من أهلها سكنة تاجوراء، و وفد وفد منهم إلى دار السعادة العلية مستندين بالخلافة العثمانية وكان ذلك سنة 926هـ (1520م)..."<sup>30</sup>

استجاب<sup>31</sup> السلطان سليمان القانوني لوفد تاجوراء وقرر أن يرسل معهم بعض القوات العثمانية لتحرير المدينة تحت قيادة مراد آغا<sup>32</sup>.

تختلف الروايات التاريخية تختلف في تاريخ مجيء مراد آغا إلى تاجوراء أو في بدايات التواجد العثماني في طرابلس وتاجوراء، فهذا ابن غلبون يقول: ".فاستعمل عليهم مراد آغا وقدموا به لبلدهم ودانوا له وكان ذلك سنة 952هـ.."<sup>33</sup> أي أن مراد آغا والقوات العثمانية وصلت تاجوراء حوالي سنة 1546م؟، أما كرنخال فيقول في هذا الصدد: ".عندما سقطت المدينة (طرابلس) في أيدي النصارى لجأ العديد من سكانها إلى تاجوراء، وقد تمكن ضابط تركي اسمه مرتجي Mortaga (أي مراد آغا) من بسط نفوذه على المدينة ومضى يشن هجمات على فرسان مالطا.."<sup>34</sup> وبالتالي فإنه من خلال كرنخال يتضح لدينا أن مراد آغا استقر في المدينة بعد سنة 1530م وهو تاريخ استيلاء فرسان مالطا على طرابلس.

وهناك رواية أخرى تقول أنه في سنة 1531م أي بعد سنة واحدة من حكم فرسان مالطا مدينة طرابلس قام خير الدين بربروس بمهاجمة مدينة تاجوراء وقوات فرسان مالطا وبعد انتهائه من حملته البحرية على المدينة قام بوضع حامية عسكرية مجهزة بالأسلحة والمدافع في مدينة تاجوراء المجاورة وولى عليها قائداً يدعى "خير الدين كرمان"<sup>35</sup>، أما ناصر الدين سعيدوني فيقول بأن مراد آغا وخير الدين كرمان كانا منذ سنة 1520م يقودان في تاجوراء حركة المقاومة ضد الإسبان<sup>36</sup>.

يقدم لنا الباروني في كتابه الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس حلاً لهذه المسألة المعقدة إذ يقول بأن مراد آغا<sup>37</sup> إنما جاء بديلاً لخير الدين كرمان بعد وفاته سنة 1538م<sup>38</sup>، و انطلاقاً من كلام الأخير يمكننا أن نضع فرضية بخصوص هذه القضية، حيث أن السلطان العثماني بعد استقباله لسفارة أهالي تاجوراء يمكن أن يكون قد فوض أمر الدفاع عن المدينة لخير الدين بربروس حاكم إيالة الجزائر التي تأسست سنة 1520م والذي أسند هذه المهمة لقائده خير الدين كرمان، وبعد وفاة الأخير سنة 1538م إختار السلطان العثماني مراد آغا و أرسله لخلافته في مهمة الدفاع عن طرابلس وتاجوراء من فرسان مالطا.

إذن يتبين لنا من هذا العرض أن الروايات تختلف في تاريخ بداية الوجود العثماني بطرابلس وتاجوراء وفيمن كان أول قائد عثماني يتولى مهمة المقاومة ضد الإسبان وفرسان مالطا في طرابلس، غير أنه يتأكد لدينا أن الوجود العثماني في طرابلس بدأ منذ استيلاء فرسان مالطا على المدينة أي سنة 1531م أولاً عن طريق القائد خير الدين كرمان الذي ولاه خير الدين بربروس حكم منطقة تاجوراء وأسند إليه مهمة الدفاع عنها، ثم عن طريق مراد آغا الذي أرسله السلطان العثماني لقيادة المقاومة في طرابلس وتاجوراء.

ب- ضم طرابلس الغرب للحكم العثماني:

كان الوجود العثماني في طرابلس منذ عهد خير الدين كرمان و مراد آغا يهيئ الوضع لفتح طرابلس نهائياً وضمها للدولة العثمانية التي كانت ترى في إخضاع طرابلس خطوة إستراتيجية كبيرة لبسط نفوذهم في غرب البحر المتوسط خاصة بعدما تمكنوا من ضم الجزائر وجعلها مركزاً للحكم العثماني في المنطقة.

يضيف ابن غلبون على ضم طرابلس للحكم العثماني نوعاً من الصدفة التاريخية، إذ يذكر أن أهالي المدينة وقائدها مراد آغا قد طلبوا من الأسطول العثماني المتجه إلى تونس أن يساعدهم في تحرير المدينة من فرسان مالطا وأن قائد

الأسطول قد رفض ذلك بحجة أنه ليست لديه أوامر سلطانية للقيام بذلك " فهونوا عليه أمرها وصغروها بين يديه فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يعطوه حجة على أن لا يكون عليه درك من السلطان لمخالفته أمره وأنهم المؤاخذون بذلك فأعطوه بذلك حجة وحاصروها برا وبحرا فأخذوها.."<sup>39</sup>، غير أن المؤرخ إيتوري روسي يفند هذا الكلام ويقول بأن الحملة على طرابلس كانت مجهزة ومدبرة من القسطنطينية<sup>40</sup>.

يبدو أن هذا الأخير محق في تحليله إذ أن هناك رواية تاريخية تؤيده في ذلك، إذ يذكر صاحب كتاب المنهل العذب أن مراد آغا هو من طلب المدد من السلطان العثماني لمحاصرة طرابلس وتحريرها أذ جاء عنه: "... وفي سنة 957هـ (1550م) إلتبس (مراد آغا) المدد، ثم أسس طابية (حامية) صغيرة بين طرابلس وتاجوراء للمدافعة وأرسل العمال و أمن السبل وبسط في الناس العدل... وفي سنة 958هـ (1551م) جاء الأسطول العثماني إلى طرابلس بمعية طرغود فاستولى عليها.."<sup>41</sup>، وهذا كرنجال يقول في هذا الصدد أنه في سنة 1551م جهز السلطان سليمان أسطولاً بقيادة سنان باشا<sup>42</sup> وصالح ريس<sup>43</sup> وطرغود ريس<sup>44</sup>، وبعدما قام الأسطول بالهجوم على صقلية والشواطئ الإيطالية توجه إلى طرابلس.<sup>45</sup>

ومن هاتين الروايتين يتضح لنا جليا أن الأسطول قد خرج من القسطنطينية قاصدا تحرير طرابلس ولم يكن ذلك عن طريق الصدفة كما في رواية ابن غلبون.

وصل الأسطول العثماني المتكون من حوالي مائة وخمسين سفينة وعشرة آلاف جندي<sup>46</sup> قبالة مدينة طرابلس يوم 4 أوت 1551م وقد طالب سنان باشا من حاكم المدينة فالير Gaspere di Vllier بالإستسلام غير أن الأخير رفض ذلك<sup>47</sup>.

قاد سنان باشا الهجوم على طرابلس براً بينما تولى طرغود ريس قصف المدينة من البحر وقد بدأت القوات العثمانية الهجوم يوم 8 أوت واستمرت في حصارها وقصفها للمدينة إلى غاية 14 أوت أين تمكنت القوات العثمانية من فتح القلعة وفتحت المدينة أمام القوات العثمانية بعدما اتفقوا مع فرسان مالطا على شروط الإستسلام<sup>48</sup>.

كان فرسان مالطا قد جعلوا شرطا لهم للإستسلام حفظ أرواحهم والسماح لهم بمغادرة طرابلس إلى مالطا بسلاحهم وذخيرتهم<sup>49</sup> وهو ما وافقه عليهم سنان باشا بعد وساطة من دارامون Daramont السفير الفرنسي لدى الباب العالي<sup>50</sup>، ويقول كرنجال أن الأتراك وفوا بعهدهم لفرسان مالطا حيث أنهم لم يمسهوهم بأذى وعاملوهم بالحنسنى ونقلوهم على سفن الأتراك إلى مالطا<sup>51</sup>.

ولا يمكن هنا تجاهل دور المقاومة المحلية في تحرير طرابلس، حيث كان شيوخ طرابلس ورجالها على رأس المقاومة البرية في تاجوراء ومنعوا على فرسان مالطا التموين من القرى الساحلية<sup>52</sup>.

بعد دخول العثمانيين مدينة طرابلس قام سنان باشا بتعيين مراد آغا أول حاكم عثماني على المدينة، و أقسم على القرآن أن يتولى إدارة البلاد باسم السلطان العثماني<sup>53</sup>.

خاتمة:

نخلص في الأخير إلى أن الفراغ السياسي والفوضى الذي شهدتها البلاد المغاربية منذ منتصف القرن 15م قد ولد تحولات جذرية بالمنطقة أدت إلى انهيار القوى الحاكمة وظهور قوى جديدة ساعدتها الظروف على التوسع في البلاد المغاربية و التي تعتبر طرابلس الغرب إحدى أقاليمها و مراكزها الهامة والإستراتيجية و بما أن طرابلس الغرب كانت إحدى أقاليم الدولة الحفصية فإن ظهور النزعة الإستقلالية فيها التي رافقها ضعف السلطة الحفصية المركزية قد مهد لإنهيار الحكم الحفصي بالمدينة، وقد مكن هذا الفراغ السياسي الذي شهدته المدينة وأقاليمها من التسوع الإسباني في المنطقة واحتلال المدينة مطلع القرن 16م، كما وفر هذا الإحتلال من جهته سبباً مباشراً للتدخل العثماني الذي كانت بداياته انطلاقاً من استنجد ساكنة طرابلس الغرب بالدولة العثمانية بغية الوقوف في وجه المد المسيحي الإسباني والذي انتهى بفتح طرابلس الغرب وقيام الحكم العثماني بها منذ سنة 1551م.

الهوامش:

<sup>1</sup>Hichem Djait et Autrs, Histoire General de La Tunisie, Sud Edition, Tunis,2008,T2,p384

<sup>2</sup> الباروني عمر محمد، الإسيان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، د ط، مطبعة المايجي، طرابلس، 1952، ص 9

<sup>3</sup> بن اسماعيل عمر علي، إختيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، ط 1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1966، ص 17

<sup>4</sup> روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة و تقديم خليفة محمد التليسي، ط 2، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1991، ص 147

<sup>5</sup> الزركشي محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 150

<sup>6</sup> الباروني، المرجع السابق، ص 11

<sup>7</sup> كرفخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ط 1، دار المعارف، الرباط 1984، ج 3، ص 26، برنشفيك روبير، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، تر، حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 1، ص 298-307

<sup>8</sup> إيفانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة يوسف عطا الله، ط 1، دار الفري، بيروت، لبنان 1988، ص 170

<sup>9</sup> يذكر الباحثون في تاريخ طرابلس الغرب أن تاريخ المدينة في هذه الفترة يتنابه الكثير من الغموض، ينظر: بازامه محمد مصطفى، ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسيان (1510-1530م)، دط، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1965، ص 23

<sup>10</sup> الباروني، المرجع السابق، ص 13

<sup>11</sup> طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، رشدي راسم، ط 1، دار النيل للطباعة، القاهرة، 1953، ص 85

<sup>12</sup> الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج 2، ص 180

<sup>13</sup> الباروني، المرجع السابق، ص 14

<sup>14</sup> زليتنر جان كلود، طرابلس ملتقى أوروبا ووسط بلدان إفريقيا، تر، جاد الله عزوز الطلحي، ط 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، 2001، ص 28

<sup>15</sup> الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 98

<sup>16</sup> ابن غلبون محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار (تاريخ طرابلس الغرب)، تح، الطاهر الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة 1934، ص 93، 92

<sup>17</sup> روسي إيتوري، طرابلس تحت حكم الإسيان وفرسان مالطا، تر، محمد التليسي، ط 1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1969، ص 18،

عبيد مصطفى، طرابلس الغرب من الإحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة فسنطينة، ع 18، 2015، ص 324



- 18 بازامه، المرجع السابق، ص53، الباروني، المرجع السابق، ص31
- 19 كرفخال، المصدر السابق، ج3، ص122،123، روسي، المرجع السابق، ص19، زليتنر، المرجع السابق، ص31
- 20 ابن غلبون، المصدر السابق، ص93
- 21 للمزيد حول نشأة وتاريخ فرسان القديس يوحنا ينظر: رايلي سميث جوناثان، الإستراتيجية، فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، تر، صبحي الجاني، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989، سليمان سامية، النشاط الصليبي لهيئة الإستراتيجية 1099-1522م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001، الباروني، المرجع السابق، ص85،86
- 22 مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص328، كولز بول، العثمانيون في أوروبا، تر، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، د ط، الهيئة العليا المصرية للكتاب، 1993، ص91
- 23 روسي، المرجع السابق، ص50
- 24 قبل شارل الخامس بالتنازل عن مالطا وطرابلس لفرسان القديس يوحنا نظرا لانشغاله بالحروب الداخلية الأوربية في إيطاليا وفرنسا، ينظر: بن إسماعيل، المرجع السابق، ص20،
- 25 المرجع نفسه، ص20
- 26 في سنة 1524م زار وفد من فرسان مالطا مدينة طرابلس وعند عودتهم نصحو القائد الأعلى للمنظمة بعدم قبول مهمة استلامها نظرا لصعوبة وتكاليف الدفاع وبما أن تنازل شارل الخامس للمنظمة عن جزيرة مالطا كان مقرونا بتوليهم حكم طرابلس، فإن فرسان مالطا لم يجدوا بُد من قبول العرض بكامل تفاصيله، بازامه، المرجع السابق، ص110، روسي، طرابلس، المرجع السابق، ص52
- 27 الباروني، المرجع السابق، ص85
- 28 مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص332، روسي، المرجع السابق، ص53
- 29 تاجوراء: مدينة ساحلية شرق طرابلس لجأ إليها سكان الأخيرة بعد سقوطها في أيدي الإسبان، ينظر: كرفخال، المصدر السابق، ج3، ص128
- 30 الأنصاري أحمد بك النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، د ط، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، د ت، ص186
- 31 هناك من المؤرخين الأوربيين من يعتبر أن الدولة العثمانية أصرت على إظهار نفسها كمحرر للشعوب الإسلامية كي تغطي على أطماعها التوسعية في شمال إفريقيا، ينظر: بروشين نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا من منتصف ق16 إلى مطلع ق20م، تر، تق، عماد حاتم، ط2، دار الكتب الليبية، طرابلس، 2001، ص26
- 32 الأنصاري، المصدر السابق، ص186، ابن غلبون، المصدر السابق، ص93
- 33 المصدر نفسه، ص93
- 34 كرفخال، المصدر السابق، ج3، ص128
- 35 تومي طاهر، علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا 1520-1792، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018-2019، ص207، روسي، المرجع السابق، ص61، إيفانوف، المرجع السابق، ص221، الباروني، المرجع السابق، ص92
- 36 سعيدوني ناصر الدين، ولايات المغرب العثمانية (الجزائر تونس طرابلس)، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص32
- 37 حول هذه الشخصية ينظر: الباروني، المرجع السابق، ص107-110
- 38 المرجع نفسه، ص106 وكذلك ينظر: إيفانوف، المرجع السابق، ص221
- 39 ابن غلبون، المصدر السابق، ص94
- 40 روسي، المرجع السابق، ص63
- 41 الأنصاري، المصدر السابق، ص188
- 42 سنان باشا: قائد وبحار عثماني خاض العديد من الحرب البحرية على رأس الأسطول العثماني ساهم في تحرير اليمن وطرابلس وتونس وإخضاعهما للدولة العثمانية، للمزيد ينظر: الجبوري راجحة محمد، القائد سنان باشا و جهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م، مجلة جامعة تكريت للعلوم، تكريت، ع2011، 1

- 43 صالح رايس: قائد وبحار عثماني أصله من الإسكندرية، شارك في العديد من الحروب البحرية العثمانية، تولى منصب بايلرباي الجزائر ما بين 1552-1556م، توفي أثناء حصاره لوهران، للمزيد ينظر: سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص291-313
- 44 طرغود ريس: قائد وبحار عثماني قاد العديد العديد من الحملات البحرية العثمانية في البحر المتوسط، ساهم في تحرير طرابلس و جزيرة جربة، تولى حكم إيالة طرابلس ما بين 1556-1565م، توفي في حصار مالطا 1565م، للمزيد ينظر: روسي، المرجع السابق، ص69،68، كولز بول، المرجع السابق، ص93
- 45 كرفخال، المصدر السابق، ج3، ص124
- 46 فيما كانت قوات فرسان مالطا تتكون من ثلاثمائة مالطي وستمائة مرتزق إيطالي وحوالي مائة عسكري من عرب المدينة، ينظر: إيفانوف، المرجع السابق، ص225
- 47 مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص334، إيفانوف، المرجع السابق، ص224
- 48 الويشي عطية فتحي، العثمانيون بطرابلس الغرب جدلية العلاقة بين المجتمع والدولة 1551-1912م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع2017، 140، ص35، عبيد، المرجع السابق، ص335،334
- 49 ابن غلبون، المصدر السابق، ص94، الباروني، المرجع السابق، ص132
- 50 روسي، المرجع السابق، ص76، إيفانوف، المرجع السابق، ص226، وقد تمت جلسة الصلح في خيمة سنان باشا بينه وبين دي فالويه De Vallies حاكم طرابلس، ينظر: الباروني، المرجع السابق، ص134
- 51 كرفخال، المصدر السابق، ج3، ص125
- 52 الويشي عطية، المرجع السابق، ص35
- 53 الأنصاري، المصدر السابق، ص188، إيفانوف، المرجع السابق، ص226